



يُستدل من خط سير الأزمة السورية أن لبنان سيكون الأكثر تأثراً بتداعياتها، وستزداد المخاطر عليه كلما طالت الأزمة. وإذا كانت النهاية المرجحة بل المؤكدة أن النظام السوري سيسقط في نهاية المطاف، فإن سيناريو هذه النهاية وشكلها سيتحكمان بالاحتمالات المتتصورة لانعكاساتها في لبنان وعليه.

### الحلقة الأضعف

لا شك أن الدول الخمس المحاذية لسوريا استشعرت سخونة المواجهة الدائرة فيها، وربما تصلها، باستثناء إسرائيل، شرارات أخرى في المراحل المقبلة، سواء من الحجم المتعاظم للنازحين أو الاحتكاكات الحدودية وسيطرة الثوار على المعابر.

لكن الخطر الكردي الذي تعمّدت دمشق أخيراً تفعيله لن يؤدي إلى زعزعة الدولة القوية في تركيا، أما بالنسبة إلى العراق فإن الصيغة الهشة للتعايش الحالي بين المكونات معرّضة للهتزاز بفعل تأجيج المشاعر الطائفية والمذهبية، وقد يتأثر الأردن أقل أو أكثر نظراً إلى تفاعل أزمته الداخلية مع الحدث الإقليمي إلا أن منه سيبقى خطأ أحمر متمتعاً بضمان أميركي-إسرائيلي.

لذلك يبقى لبنان الحلقة الأضعف، وساحةً مستباحةً للنظمتين السورية والإيرانية اللذين يستخدمانه لأهداف شتى، مستغلين: أولاً: ضعف دولته وانحلالها جراء عقود من الهيمنة والوصاية السوريتين، وخروج غير سليم ومنسق من الحرب الأهلية، وكذلك بسبب الحالة المعقّدة التي ترتبّت على سلاح "حزب الله" منذ انتهاءه عام 2000 من تحرير الجنوب من الاحتلال

ثانيًا: يستغل النظامان السوري والإيراني انقسامًا بين الأطراف اللبنانية، وهو انقسام كانا ساهمًا في بلوغه وتعزيزه بعد العام 2005 سواء لاحتواء تداعيات انسحاب الجيش السوري من لبنان، أو لتأمين شبكة أمان داخلية لـ "حزب الله" وسلاحه، وأيًضاً لفرض دور وظيفة على لبنان بمعزل عن الإجماع الوطني.

ثالثًا: يشمل استغلال النظامين السوري والإيراني لهذا الانقسام إضعاف الجيش اللبناني وتهبيشه، واختراق الأجهزة الأمنية، والضغط على الوسط السياسي بتعزيز نفوذ الجهات الموالية لهما وعقاب المناوئين. وكانت تبعات اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري، من تحقيق دولي واتهامات أولية للنظام السوري لم تتبعد كلًا، ثم اتهامات "مؤثرة" وجهتها المحكمة الدولية لعناصر من "حزب الله"، قد زادت الانقسام حدًّا ودفعت لبنان إلى حافة اقتتال أهلي.

ويصب في هذا الاتجاه الاتهامات الموجهة لوزير لبناني سابق، ميشال سماحة، بإشرافه على مخطط لاغتيال عدد من السياسيين، وجميعهم من فريق سياسي واحد.

رابعًا: نجح استغلال النظامين السوري والإيراني لهذا الانقسام في تمكين حلفائهم من سيطرة كاملة على الحكومة الحالية، وأيًضاً في إحداث تغييرات في طبيعة النظام اللبناني ومصادر مقومات الاستقلال والسيادة، وبالتالي إحباط البحث التقليدي عن توافقات داخلية يفرضها التعايش الوطني عبر ما يسمى "الحوار الوطني".

فعلى سبيل المثال، يمكن للبنان في مراحل سابقة أن يواجه أي اعتداءات إسرائيلية بالاشتراك إلى مجلس الأمن الدولي، أو بحث الجامعة العربية على نصرته، لكنه في الوضع الراهن مع تزايد الانتهاكات السورية وسقوط ضحايا مدنيين لا يُسمح لحكومته بالاحتجاج أو بتحذير دمشق ولا بمجرد التفكير باللجوء إلى المحافل العربية أو الدولية.

منذ اندلاع الثورة في سوريا أُضيَّف محور جديد إلى محاور الانقسام بين اللبنانيين؛ فالفريق المعروف باسم 14 آذار يشمل السنة عمومًا إلى جانب طيف واسع ومتتنوع من الطوائف الأخرى، وهو متضرر رئيسي من الهيمنة السورية—الإيرانية، فيبعد أن خاض انتفاضة عام 2005 تحت شعار الخلاص من الوصاية واستعادة الاستقلال وجد نفسه تلقائيًا إلى جانب الثورة السورية ومدافعاً عن أهدافها.

أما الفريق الآخر المعروف باسم 8 آذار، الذي يضم الشيعة أساساً إلى جانب فريق مهم من المسيحيين الموارنة، فيناوئ الثورة ويُسخِّف أهدافها ويرى مصلحته مع النظام السوري على المدى القريب والبعيد، كما يسانده في حربه ضد ما يعتبره "مؤامرة" عليه.

### النَّأي بالنفس

في ظل هذا الانقسام استندت الحكومة اللبنانية الحالية إلى كونها موالية للنظام السوري أو قريبة منه، من أجل أن يُسمح لها بأن ترسم مسافة علنية لكن وهمية بينها وبينه، وهو ما عُرِفَ بـ"سياسة النَّأي بالنفس" التي سهَّلت على لبنان إما التحفظ على القرارات التي تتخذ ضد النظام السوري في المحافل الدولية والعربيَّة، وإما التهرب من التصويت معها أو ضدها.

ورغم الاعتراضات المبدئية، تشكَّل نوع من التوافق على هذه السياسة باعتبار أنها تساعدها على إبقاء الاستقرار الضروري للاقتصاد الضعيف.

**ولعل دوافع ثلاثة ساهمت في إقناع نظام دمشق بقبول هذه السياسة:**

- أولها: أن الموقف اللبناني الرسمي يقي مفهومًا عمومًا بأنه نأىًّا لمصلحة النظام السوري.
- الثاني: أن الاستقرار المنشود يدعمه ويوفر على حليفه الرئيسي "حزب الله" أعباءً لا يريدها لأنها تشغله وتضعف موقفه في المواجهة المستمرة مع العدو الإسرائيلي.
- الثالث: أن هذا الاستقرار يُبقي لبنان رئةً ومتنفسًا لسوريا بعد تراكم العقوبات الأميركيَّة والأوروبية المركَّزة على النظام

وأشخاصه وأعوانه وأجهزته.

لكن استمرار الأزمة أكثر مما كان متوقعاً لها، ويدع ظهور النتائج المؤلمة للعقوبات، وتفاقم الصعوبات أمام النظام بسبب عدم قدرته على الحسم، واحتدام الصراع الدولي للتطبيق عليه، جعلت النظام يعيد النظر في أولوية الاستقرار وفي شروط قبولة صيغة "النأي بالنفس"؛ فمن جهة زاد مطالبته من الحكومة والأجهزة والجيش لمكافحة تهريب الأسلحة ومطاردة المعارضين واعتقالهم وتسليمهم والتطبيق على النازحين، ولاحقاً صار الرعايا العرب ولاسيما الخليجيين مستهدفين للخطف والاستجواب ما أدى إلى تحرير الموسم السياسي الذي تعول عليه شريحة كبيرة من اللبنانيين. ومن جهة أخرى دفعه توسيع رقعة القتال في الداخل وازدياد الانشقاقات العسكرية والسياسية وارتسام احتمالات الانهيار وتراجع حظوظ الحل السياسي، إلى تفعيل سيناريوهات تصدير الأزمة، وحتى التفكير في ما بعد هذه السيناريوهات إذا لم تفلح، ولن تفلح، في تبديها.

لاشك أن الخط الأسهل، المفتوح والمتاح، لتصدير الأزمة يبدأ من لبنان، لكنه يصطدم بالضرورة بواقع أن البلد ليس دولة معادية، وبواقع أنه إذا أراد التأييـم باللـعب على التناقضـات الطائـفـية فإنه يمكن أن يثير فتـنة سـنية -ـشـيعـيةـ، فيـرـبـكـ بالـتـالـيـ حلـيـفـاـ مثلـ "ـحـزـبـ اللهـ"ـ لاـ يـزالـ يـعيـشـ التـدـاعـيـاتـ السـلـلـيـةـ لــ"ـغـزـوـةـ بـبـرـوـتـ"ـ فـيـ السـابـعـ مـنـ ماـيـوـ/ـأـيـارـ 2008ـ.

لذلك بدت طرابلس بؤرةً مناسبة، إذ تعيش فيها أقلية علوية موالية للنظام إلى جانب غالبية سنية متفاعلـةـ معـ الغـالـيـةـ السـنـيـةـ السـوـرـيـةـ التـائـرـةـ عـلـىـ النـظـامـ، ثـمـ إـنـ مـوـقـعـهـ الـجـغـرـافـيـ الـقـرـيـبـ مـنـ سـوـرـيـاـ قدـ يـتـحـ لـلـنـظـامـ التـدـخـلـ عـسـكـرـيـاـ لـسـحقـ السـنـةـ وـلـوـ بـذـرـيـعـةـ حـمـاـيـةـ الـعـلـوـيـنـ.

بالطبع ثمة بؤر أخرى يمكن للنظام أن يشعـلـهاـ، خـصـوصـاـ أـنـ لـدـيهـ أدـوـاتـ مـحـلـيةـ، إـلـاـ أـنـهـ لاـ توـفـرـ مواـصـفـاتـ طـرـابـلسـ إـمـاـ لـأـنـ السـنـةـ فـيـهـ لـيـسـواـ مـسـلـحـيـنـ فـيـ وـضـعـيـةـ قـتـالـيـةـ أـوـ لـأـنـ القـتـالـ فـيـهـ لـابـدـ أـنـ يـنـقـلـبـ فـتـنةـ سـنـيـةـ-ـشـيعـيةـ لـاـ يـرـيدـهـ "ـحـزـبـ اللهـ"ـ حـتـىـ لـوـ أـرـادـهـ النـظـامـ السـوـرـيـ.

لا يعني ذلك تناقضـاـ بينـ الحـلـيفـيـنـ السـوـرـيـ وـالـإـيـرـانـيـ بلـ خـلـافـاـ فـيـ التـكـيـكـ؛ـ فـإـرـانـ وـ"ـحـزـبـ اللهـ"ـ مـلـزـمـانـ بـدـعـمـ النـظـامـ السـوـرـيـ بـكـلـ الـوـسـائـلـ وـالـأـسـالـيـبـ، وـفـيـ الـمـقـابـلـ لـاـ يـرـيـانـ أـنـ إـنـقـاذـهـ مـمـكـنـ حتـىـ يـإـشـعـالـ فـتـنةـ سـنـيـةـ-ـشـيعـيةـ فـيـ لـبـنـانـ، أـوـ بـالـأـحـرـىـ لـاـ يـرـيـانـ أـنـهـ ضـرـورـيـةـ -ـالـآنـ عـلـىـ الـأـقـلـ.ـ إـذـ إـنـهـ سـتـفـتـحـ نـوـافـذـ لـتـدـخـلـاتـ خـارـجـيـةـ، وـرـبـماـ تـشـكـلـ خـلـافـيـةـ تـسـتـغـلـهاـ إـسـرـائـيـلـ لـشـنـ حـرـبـ عـلـىـ "ـحـزـبـ اللهـ"ـ مـسـتـفـيدـةـ مـنـ اـنـشـالـهـ بـاـضـطـرـابـ الـدـاخـلـ الـلـبـنـانـيـ.ـ وـمـعـرـوفـ أـنـ الـمـوـقـفـ إـسـرـائـيـلـ مـحـسـومـ، فـالـسـؤـالـ عـنـ تـلـ أـبـيـبـ لـيـسـ "ـهـلـ"ـ تـشـنـ حـرـبـاـ كـهـذـهـ؟ـ وـإـنـمـاـ "ـمـتـىـ"ـ تـشـنـهـ؟ـ

لـكـنـ مـاـ يـؤـرـقـ "ـحـزـبـ اللهـ"ـ يـتـعـلـقـ بـمـاـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ حـيـنـ يـبـدـأـ الـانـهـيـارـ الـفـعـلـيـ لـلـنـظـامـ السـوـرـيـ، وـالـسـؤـالـ المـطـرـوـحـ:

**ماـ الـعـلـمـ دـاـخـلـ لـبـنـانـ؟ـ ماـ الـعـلـمـ مـعـ "ـفـلـولـ"ـ النـظـامـ؟ـ**

يـصـعـبـ القـوـلـ بـأـنـ لـدـىـ الـحـزـبـ خـطـطـاـ نـهـائـيـةـ جـاهـزـةـ لـلـتـنـفـيـذـ،ـ إـلـاـ أـنـ الـمـتـدـاـولـ أـنـهـ قدـ يـعـدـ إـلـىـ اـنـتـشـارـ أـمـنـيـ،ـ وـأـنـهـ رـبـماـ يـقـدـمـ عـلـىـ مـاـ يـشـبـهـ اـنـقـلـاـيـاـ سـيـاسـيـاـ-ـأـمـنـيـاـ لـاـسـتـبـاقـ أـيـ ردـودـ فـعـلـ تـطـرـحـ نـزـعـ سـلاـحـ،ـ وـأـنـهـ سـيـسـتـعـيـنـ بـ"ـالـفـلـولـ"ـ الـلـبـنـانـيـ لـفـرـضـ سـيـطـرـةـ.ـ لـكـنـ كـلـ الـخـطـطـ الـمـتـصـورـةـ لـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـصـمـدـ أـكـثـرـ مـنـ سـاعـاتـ أـوـ أـيـامـ،ـ وـلـكـيـ يـكـوـنـ لـهـ مـغـزـيـ لـابـدـ مـنـ اـرـتـبـاطـهـ بـمـشـرـوـعـ أـكـبـرـ.

### **سيناريو الدولة**

هـنـاـ يـثـارـ السـيـنـارـيـوـ الـذـيـ بـرـزـ بـعـضـ مـعـالـمـهـ مـنـ خـالـلـ خـطـوـتـ التـمـاسـ الـقـتـالـيـ وـخـرـيـطـةـ الـأـرـضـ الـمـحـرـوـقـةـ الـتـيـ رـسـمـهـاـ وـيـرـسـمـهـاـ النـظـامـ السـوـرـيـ بـغـارـاتـ التـدـمـيرـ الـمـنـهـجـيـ وـالـمـجـازـ الـمـبـرـمـجـةـ لـاقـتـلـاعـ السـكـانـ وـتـهـجـيرـهـمـ مـنـ مـنـاطـقـ مـعـيـنـةـ.ـ فـالـهـدـفـ كـمـاـ تـمـكـنـ قـرـاءـتـهـ عـلـىـ خـرـيـطـةـ هـوـ رـسـمـ حدـودـ "ـالـدـوـلـيـةـ الـعـلـوـيـةـ"ـ لـتـبـدـأـ مـنـ دـمـشـقـ وـتـمـتـدـ إـلـىـ حـمـصـ فـمـنـطـقـةـ السـاحـلـ الـغـرـبـيـ حـيـثـ تـتـرـكـزـ الـأـقـلـيـةـ الـعـلـوـيـةـ وـبـعـضـ الـأـقـلـيـاتـ الـمـسـيـحـيـةـ.

## ما علاقـة ذلك بـلـبنـان؟

إذا أتيـحـ لـلـنـظـامـ أـنـ يـفـرـضـ مـسـاـوـمـةـ دـوـلـيـةـ لـإـقـامـةـ هـذـهـ دـوـلـيـةـ،ـ وـفـقـاـ لـلـخـرـيـطـةـ الـتـيـ يـتـخـيـلـهـاـ،ـ بـمـسـانـدـةـ رـوـسـيـةــ إـيـرـانـيـةـ،ـ فـإـنـ الـمـدـىـ الـحـيـوـيـ الـبـرـيـ لـهـاـ سـيـكـونـ لـبـنـانـ،ـ خـصـوـصـاـ فـيـ الـمـنـاطـقـ الـشـرـقـيـةـ الـشـمـالـيـةـ كـحـدـودـ لـابـدـ تـكـوـنـ آـمـنـةـ وـمـوـثـوـقـاـ بـمـنـ يـسـيـطـرـ عـلـيـهـاـ أـيـ بـالـشـيـعـةـ وـ"ـحـزـبـ اللـهـ"ـ،ـ وـكـذـلـكـ مـنـاطـقـ الـشـمـالـ الـأـقـرـبـ إـلـىـ الـدـوـلـيـةـ الـمـتـخـيـلـةـ.

قد يـبـدـوـ هـذـاـ السـيـنـارـيـوـ غـيـرـ وـاقـعـيـ،ـ لـكـنـ أـكـثـرـ الـأـسـئـلـةـ الـتـيـ تـرـتـدـدـ فـيـ الـلـقـاءـاتـ الـدـوـلـيـةـ،ـ هـوـ:ـ كـيـفـ يـمـكـنـ حـمـاـيـةـ الـعـلـوـيـيـنـ وـسـائـرـ الـأـقـلـيـاتـ بـعـدـ سـقـطـ الـنـظـامـ أـوـ إـسـقـاطـهـ.ـ وـالـأـكـيـدـ أـنـ الـنـظـامـ يـنـتـظـرـ أـيـ مـسـاـوـمـةـ كـيـ يـطـرـحـ هـذـهـ الـورـقـةـ،ـ فـإـنـ نـجـحـتـ فـإـنـ سـيـطـرـةـ "ـحـزـبـ اللـهـ"ـ عـلـىـ لـبـنـانـ سـتـكـونـ شـرـطـاـ لـازـمـاـ وـضـرـورـيـاـ،ـ وـلـاـ يـعـرـفـ عـنـدـئـلـ إـذـاـ كـانـ سـيـسـتـمـ عـنـصـرـ تـهـيـدـ إـلـىـ إـسـرـائـيـلـ.

المـصـدـرـ:ـ مـرـكـزـ الـجـزـيرـةـ لـلـدـرـاسـاتـ

المـصـادـرـ: